المحاضرة رقم (1) / مادة مصادر الأدب الشعبي / ماستر 2 2021

محمد بن أبي شنب

ابن أبي شنب (1286-1347هـ/ 1869-1929م) هو محمد بن العربي بن محمد أبي شنب الجزائري الأديب الباحث، أحد أعلام المغرب العربي النابهين في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وأحد رواد النهضة العربية الحديثة. أول جزائري حامل لشهادة الدكتوراه في العصر الحديث.

ولد في قرية المدية جنوب مدينة الجزائر، ونشأ في ظل الاحتلال الفرنسي، فقرأ شيئاً من القرآن الكريم قبل أن يلتحق بمدرسة المدية الثانوية، ليتعلم اللغة الفرنسية والعلوم الغربية وفق المنهج المفروض من قبل سلطات الاحتلال، ثم انتسب إلى دار المعلمين ببلدة أبي زريعة قرب العاصمة، وتخرج منها بعد عام حاصلاً على إجازة تعليم اللغة والعلوم الفرنسية في المدارس الابتدائية الوطنية. وأمضى عشر سنوات في هذه المدارس، شُغِل فيها بالتعليم وتحصيل علوم اللغة العربية واستدراك ما فاته منها، فقرأ النحو والصرف والعروض، وشيئاً من علوم الدين، وتقدم بما حصله إلى مدرسة الآداب العليا، ونال إجازتها، فتولى تدريس آداب العربية في مدرسة آداب مدينة قسنطينة، وبعد أن أمضى في عمله الجديد أربع عشرة سنة، ارتقى إلى القسم الأعلى من هذه المدرسة، فأقرأ فيها النحو والأدب والبلاغة والمنطق. وفي أواخر عام «1922م» تقدم إلى كلية الآداب الجزائرية ببحثين للحصول على درجة الدكتوراة، هما: «حياة أبي دلامة وشعره» و«الألفاظ التركية والفارسية الباقية في اللهجة الجزائرية»، فمنح درجة الدكتوراه وكلف بالتدريس في الكلية، وظل يدرس ويبحث إلى أن وافته المنية.

جمع ابن أبي شنب بين الثقافتين العربية والأوربية، وأتقن اللغتين العربية والفرنسية، وألَمّ باللغات الإيطالية والألمانية والإسبانية والفارسية، وكان له معرفة يسيرة باللغتين التركية واللاتينية. أخذ عن المستعمرين الفرنسيين علومهم وطرائقهم في الدرس ومناهجهم في البحث، وتعمق في علوم العربية وأحاط بالأدب العربي، وقد مكنه هذا الجمع بين ثقافتين وامتلاك عدة البحث العلمي من خدمة التراث العربي على خير وجه، فعمل مع أهل الثقافة العربية ومع المشتغلين بها من المستشرقين، وقد رزق قدرة على الدرس والتحصيل، وصبراً على البحث ورغبة في الإفادة، مع ذكاء وحافظة جعلاه يستوعب علوماً كثيرة من الثقافتين، ويتدرج في مراتب العلم إلى أن حل أعلاها ، بجهد ذاتي دؤوب وثقة كبيرة بالنفس.

كان ابن أبي شنب يجمع صفات العالم إلى صفات الصلاح والطيب، وعرف بكرم النفس ورجاحة العقل والعفة والاستقامة ولطف المعشر والمسارعة إلى مساعدة الآخرين، فكان صورة للأديب العربي المسلم الذي عرف كيف يطلع على الأساليب الأوروبية في العمل من غير أن يفقد شيئاً

من مقومات هويته ومكونات شخصيته، فحافظ على التقاليد العربية، وحرص على ارتداء اللباس الوطني، والظهور به في المحافل العربية والأوربية.

اكتسب ابن أبي شنب احترام المثقفين العرب والأوربيين وتقديرهم، فانتخب في عام «1920»، عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق، وحاز على عضوية أكاديمية العلوم الاستعمارية بباريس. وفي سنة «1922» قلدته حكومة فرنسا وسام فارس جوقة الشرف تقديراً لجهوده في التقريب بين الثقافة العربية والثقافة

الفرنسية. وكانت له مكانة كبيرة عند المستشرقين، يرجعون إليه فيما يشكل عليهم، ويطلقون عليه «ابن شنب» وينادونه «شيخنا».

أمضى ابن أبي شنب حياته في العمل العلمي، فكان ينشر البحوث القيمة في الدوريات العربية والأجنبية، ويضع المؤلفات باللغتين العربية والفرنسية، ويخرج كنوز التراث العربي من خباياها، فحقق عدداً كبيراً من كتب التراث في اللغة والنحو والأدب والتاريخ والتراجم، فضلاً عن البحوث الميدانية في التراث الشعبي الجزائري واللهجة الجزائرية، وشارك في صنع فهارس المكتبات التي تحوي مخطوطات عربية، ولم يخرج في كل بحوثه عن المنهج العلمي الرصين، فأسدى للثقافة العربية خدمة جليلة بإخراج تراثها من ناحية، وبتصويب رأي المستشرقين فيها من ناحية ثانية.

وقد ترك ابن أبي شنب بحوثاً كثيرة منشورة في الدوريات العلمية الرصينة، الشرقية والغربية، وعدداً كبيراً من المصنفات المختلفة والمفيدة في الدراسة الأدبية والتحقيق والفهرسة والبحث الميداني باللغتين العربية والفرنسية. من مصنفاته المطبوعة كتاب «تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب»، وكتاب «أبو دلامة وشعره»، وكتاب «ما أخذه دانتي من أصول إسلامية» مطبوع بالفرنسية، وكتاب «الأمثال العامية الدارجة في المغرب»، ثلاثة أجزاء، وكتاب «الألفاظ التركية والفارسية الباقية في اللهجة الجزائرية»، وكتاب «طبقات علماء إفريقية». وأخرج شرحاً لنظم مثلثات قطرب، وشرحاً لكتاب «جمل الزجاجي»، وكتاب «عنوان الدراية في علماء بجاية» للغبريني، وكتاب «نزهة الأنظار» للورثيلاني، وكتاب «البستان في علماء تلمسان».

وكان يميل في أسلوبه إلى التقليد والسجع، مثل قوله في مقدمة الرحلة الورتيلانية: «أما بعد فالرحلة الورتيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار للإمام العلامة والأستاذ الفهامة، الشريف النوراني، الشيخ الحسين بن محمد الورتيلاني ... أنفس تصنيف رصعت جواهره في وطن الجزائر، وأعلق تأليف اشتهر بين البوادي والحواضر، لاشتماله على عوارف المعارف وظرائف اللطائف، وأوابد العوائد وفرائد الفوائد، ونسق الأوصاف الكاملة وحل المشاكل الشاكلة... فاصلاً جمانه بمرجان الحكايات الأنيقة، ومرصعّاً وشاحه بياقوت الأشعار الرقيقة، وغير ذلك مما هنالك).

مؤلفاته:

1. تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب 1906 و 1928.
2. شرح لمثلثات قطرب 1906.
3. أبو دلامة وشعره وهو أطروحته لنيل شهادة الدكتوراه التي حصل عليها سنة 1924.
4. الأمثال العامية الدارجة في الجزائر وتونس والمغرب 3 أجزاء 1907.
5. الألفاظ الطليانية الدخيلة في لغة عامة الجزائر (لم يطبع)
6. فهرست الكتب المخطوطة في خزانة الجامع الأعظم بالجزائر 1909.

7. معجم بأسماء ما نشر في المغرب الأقصى (فاس) من الكتب ونقدها 1922.

8. خرائد العقود في فرائد القيود 1909.

9. الكلمات التركية والفارسية المستعملة في اللهجة الجزائرية .

<u>تحقيقاته في مؤلفات غيره</u>:

1. البتسان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم التلمساني عام 1908.

2. عنوان الدراية فيمن عرف من علماء المائة السابعة في بجاية للغبريني 1910.

3. الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية 1920.

4. الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية.

5. تعليق على : وصايا الملوك وأبناء الملوك من أولاد الملك قحطان بن هود النبي.

6. شرح ديوان عروة بن الورد لابن السكيت 1926.

7. طبقات علماء أفريقية لأبي ذر الخشني ترجم للفرنسية 1915.

8. ترجم إلى الفرنسية رسالة للإمام الغزالي في رياضة الأولاد وتربيتهم نشرت بالمجلة الإفريقية " la revue africaine" سنة 1901.

9. الجمل تأليف الزجاجي .

<u>مؤلفات وتحقيقات</u>:

1. تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب, 1906 و 1928م.

2. شرح لمثلثات قطرب 1906م.

3. أبو دلامة وشعره, وهو أطروحته للدكتوراة التي حصل عليها سنة 1924م, حيث قدمها مع أطروحة أخرى هي الألفاظ التركية والفارسية الباقية في اللهجة الجزائرية.

4. الأمثال العامية الدارجة في الجزائر وتونس والمغرب, ثلاثة أجزاء 1907م.

5. الألفاظ الطليانية الدخيلة في لغة عامة الجزائر, (مخطوط).

6. فهرست الكتب المخطوطة في خزانة الجامع الأعظم بالجزائر 1909م.

7. معجم بأسماء ما نشر في المغرب الأقصى فاس من الكتب ونقدها 1922م.

8. خرائد العقود في فرائد القيود 1909م

الكتب والمؤلفات:

1. البستان 1908م.
2. عنوان الدراية 1910م.
3. الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية 1920م.
4. الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية.
5. طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار, وهو من تأليف الشيخ محمّد العربي المشرقي الغريسي.
6. وصايا الملوك وأبناء الملوك من أولاد الملك قحطان ابن هود النبي مع تعليقات عليه.
7. شرح ديوان عروة بن الورد لابن السكيت 1926م.

محمد قاضي

محمد بن الحاج بالقاسم، ولد سنة 1882 بالقلعة، المدينة العتيقة التي تقع في منتصف الطريق بين معسكر وغيليزان، وتوفي في تلمسان سنة 1945.

درس محمد قاضي بمدرسة La Madersaبتلمسان ثم بمدرسة الجزائر ، المدرسة الثعالبية في القسم العالي. بعد تخرجه شغل منصب وكيل شرعيسنة 1909، ثم كاتب أو ترجمان مساعد في المكتب العربي بمدينة وجدة المغربية إلى نهاية 1914. انتقل بعدها إلى فرنسا حيث تابع دراسته بكلية الحقوق في باريس من سنة 1919 إلى غاية 1921، أين تحصل على شهادة الليسانس. وابتداء من سنة 1923 انخرط في في المحاماة بتيارت ثم بتلمسان أين استقر نهائيا. وأثناء إقامته بمدينة تيارت بادر إلى نشر كتابه المعروف "**الكنز المكنون في الشعر الملحون**".

كان محمد قاضي عضوا في اتحادية المنتخبين المسلمين الجزائريين التي تأسست سنة 1921 وحلت سنة 1941، وعضوا في اللجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي الجزائري، وكان ضمن الوفد الذي توجه إلى باريس سنة 1937 قصد تقديم ميثاق المطالب . انتخب محمد قاضي عدة مرات نائبا بلديا في تلمسان حيث توفي يوم 21 أفريل سنة 1942.

الكنز المكنون في الشعر الملحون

لا يمكن للباحث في التراث الشعبي الجزائري وبلاد المغرب عموماً، الاستغناء عن كتاب محمد قاضي؛ حيث يعتبر هذا الديوان من أقدم و أهم المراجع فيما يخص الشعر الملحون في الجزائر.

و قد صدر بطباعة حجرية بالجزائر سنة 1928، و عرف حينه إقبالا شعبيا قويا سرعان ما أدّى إلى نفاذه و أصبح منذ ذلك الوقت من المصادر الأكثر بحثا عليها و الأكثر ندرة في ميدان المطبوعات المحلية.

فنظرا لأهميته الثقافية و العلمية و نظرا لتعذّر الحصول عليه من طرف القرّاء و الباحثين، رأينا من واجبنا إعادة نشره في شكل حديث.

و ها نحن اليوم، و بكل سرور و افتخار، نقدم هذا المؤلف في طبعة جديدة، أشرف عليها مركز البحث (CRASC) في إطار مشاركته في " الجزائر، عاصمة الثقافة العربية ".

كما سلف الذكر، مثّل كتاب " الكنز المكنون" عند ظهوره مرجعا لا يمكن الاستغناء عنه من طرف المهتمين بالشعر العامي العربي في المغرب أو ما يسمى بالشعر الملحون. و شكّل، على سبيل المثال، المصدر الرئيسي للمستعرب و الإثنوغرافي جوزيف ديبارمي (1863-1942) (Joseph Desparmet) عند كتابة مقاله المعروف ب" ردود الفعل الجنسيتية في الجزائر" (1933) (les réactionsnationalitaires en Algérie) حيث شرح فكرة أن الشعر الملحون هو " الشعر الوطني القديم" و اعتبر أن ممارسة هذا الأدب العريق " تستجيب لمتطلبات سياسية للمجتمع المغاربي".

و استشهد بمقتطفات شعرية طويلة من ديوان محمد قاضي مؤكدا أيضا أن صدور هذا الديوان، سنة 1928، ساهم في رفع الستار عن ما كان يخفيه الجزائريون من مشاعرهم العميقة عندما كانوا يحفظون الدواوين المخطوطة للشعر الملحون عن عيون المستعمر الأجنبي.

لم يظهر الكثير من الكتب في هذا المجال قبل " الكنز" و نذكر مثلا : كتاب "مجموع الأغاني العربية بالمغرب العربي"(1902-1904)(chants arabes du Maghreb) للمستعرب سونيك، مدير المدرسة العليا الإسلامية في قسنطينة ، و كتاب " كشف القناع عن آلة السماع" (1904) للمدرّس في مسجد بالعبّاس، بوعلي الغوثي بن محمد، و كتابان "مجموع الأغاني و الألحان من كلام الأندلس"(1904) و "مجموع زهو الأنيس المختص بالتباسي و القوادس" (1907) للموسيقي اليهودي الجزائري أدمون نطان يافيل.

و الكتاب الوحيد الذي يمكن مقارنته بكتاب "الكنز" حيث المضمون و الحجم هو كتاب شارل سونيك "أغاني عرب المغرب" برغم احتوائه على أغراض أكثر تنوعا. و جمعه لأنواع مختلفة من الشعر الشعبي الشفهي كأغاني الصبيان و الشوارع التي لا نجدها عند قاضي.

و زيادة على هذا، يمتاز مجموع سونيك، بضمّه عدة نصوص من شعراء المنطقة الشرقية من الجزائر و شعراء آخرين من تونس و ليبيا.

أما المؤلفات الأخرى، فتندرج عموما في نطاق الثقافة الموسيقية "الحضْرية" لحواضر كتلمسان و الجزائر العاصمة. و تحتل هنا الموسيقى الكلاسيكية الأندلسية الصدارة، بنصوصها و ما يليها من أنواع غنائية فرعية. و بصفة طبيعية، شكّلت و لا زالت تشكل هذه الموسيقى أبرز شعار لإثبات الهوية "الحضرية" الجزائرية.

أما كتاب "الكنز المكنون"، فبمجرّد تصفّحنا لمحتواه نستنتج أن اختيار النصوص خضع إلى ثلاثة شروط أو معايير:

1. التوزيع الزمني للنصوص ، حسب المراحل المتتابعة، ، و تغطية مرحلة تاريخية معينة : من أقدم شاعر، سيدي الاخضر بن خلوف (16م-10هـ) إلى أحدث شاعر و هو أحمد بن حرّاث (20م-14هـ). و تعتبر هذه المرحلة، مرحلة تطور و ازدهار للشعر الملحون حيث برز فيها فحول هذا الفن.إذ تضم هذه المجموعة الشعرية قصائد الفطاحل من شعراء الملحون في الجزائر و أجود ما أنتج شعراءنا. حيث أن معظم هذه القصائد هي بمثابة معلقات خالدة. و لا يسعنا إلا أن نعترف لمحمد قاضي بسلامة ذوقه و صواب اختياره.
2. الأغراض، التي يطغى عليها نوع " الجدّ"، و من ضمن هذا النوع من الشعر تتعدد النصوص ذات الفحوى التاريخي و السياسي (بن حواء، بن مسايب، بن حراث). مثل القصائد التي تعكس العلاقة بين الشاعر و الحاكم (المنداسي، بصحراوي، بن الحصيني، ولد امحمد، بن حوا). و لا غرابة إن كانت المرحلة التاريخية ما قبل الاحتلال الفرنسي حاضرة بقوة في هذا الديوان. و يبدو لنا أن الكاتب أراد — سنتين قبل الاحتفال بالذكرى المئوية للاستعمار (1930) (les fêtes du centenaire de la colonisation) — استحضار أرواح فرسان الماضي المجيد، بشيء من الحنين، ليعلّم صفحة تاريخية بارزة قبل طيّها. و هكذا يظهر الديوان كأنه

خطاب الوداع لماض الفروسية و الملاحم و البطولات. و، تاريخيا، هي مرحلة المقاومة الشعبية التي أخلت الساحة أمام مرحلة الممارسة السياسية الحديثة.

نجد أيضا عددا كبيرا من نصوص الحكمة و التربية الأخلاقية و الإرشاد. و كأن قاضي كان يبحث، من خلال الأشعار الوعظية (منداسي، بوعلام بطّيب، عدّة التحلايتي) عن مجموعة من القواعد يطابق الجزائري المسلم سلوكه عليها في ممارسته اليومية للمجتمع الاستعماري. و نجد قاضي يؤكد في مقدمته على القيم الأخلاقية الموروثة عن السلف و التي يجب أن تنير مسيرتنا في هذه الأوقات العصيبة. يبدو أن الظرف الراهن، حسب قاضي، ليس للتطرف و لا للمغامرة و لكن للواقعية و الحذر. فيدعو قاضي إلى التحلّي بالاعتدال و الصبر و احترام الرئيس و المرؤوس.

3. أكثر من ثلثي النصوص تتعلق بالملحون المنظوم باللغة العامية ذات الطابع " البدوي". و تعتبر هذه المجموعة خزّانا معجميا ثريا للغلة المستعملة من طرف القبائل الجزائرية و أهالي المدن ذات اللهجة العربية البدوية. و بقدر ما يمكن اعتبار الدواوين الخاصة بالأشعار الأندلسية التي نشرها يافيل، مثلا، إثباتا للثقافة الوطنية في لونها "الحضري" بقدر ما يمكن اعتبار ديوان "الكنز" تعبيرا رائعا عن الموروث العربي البدوي للشعب الجزائري.

يجب الإشارة هنا إلى أن هذه المعايير الثلاثة، التي طبقت في انتقاء هذه القصائد، ناجمة، حسب رأينا، عن تصوّر قاضي لدوره كعضو لنخبة مثقفة تنتمي إلى شعب مستعمر يسيطر عليه الجهل و الأمية.

فتصوره هذا يتميز بالنظرة النخبوية، و الرؤية التاريخية، و الانشغال بإشكالية الوساطة بين السلطة و العامة. لنتذّكر هنا أن مشكلة الانفصام أو الطلاق بين الطبقة الشعبية و المثقفين، مشكلة طالما عانت منها نخبة تلك الفترة التاريخية. أمّا قاضي فيبدو أنه عالجها باستعمال و بتوظيف الملحون بكونه لغة إجماعية (consensuelle) و أدب مشترك ومجال تفاهم و تعايش في حين واحد. يشكل الملحون في نظره المدلول (le référent) المشترك لجميع المغاربة سواء كانوا من النخبة المثقفة أو من الطبقات الشعبية. و لكنه ملحون ذو مستوى رفيع جدّا بحيث لا نجد في الكنز المكنون إلاّ فحول الشعراء — يجمعون في أغلبيتهم بين الثقافة الشعبية و الثقافة المدرسية — و القصائد الرنّانة. مما يفسّر الحضور البارز لسعيدالمنداسي، بكونه أديب من الطراز الأول و شاعر البلاط العلوي ، مربّي و مؤنس للسلاطين.

لقد شكلت معركة التاريخ الوطني و معركة اللغة الوطنية، في عهد قاضي، أعتا المعارك التي خاضتها الحركة الوطنية لوضع مقوّمات راسخة للهوية الجزائرية.

أمّا التاريخ في هذا الديوان فحدث و لا حرج : تاريخ انقضى يجب الآن استخلاص الدروس منه من جهة و تاريخ علينا إنجازه لتحرير الشعب الجزائري من قيود البؤس و الاستسلام من جهة أخرى.

أمّا فيما يتعلق بمسألة استعمال اللغة العربية المدرسية أو العامية في مخاطبة الشعب، يظهر أن قاضي اختار الأدب المكتوب باللغة العامية، لغة يسهل فهمها من الطبقة الشعبية الغير المتعلمة.

إذ يقول قاضي أنه قام بإعداد هذا الكتاب لسد الحاجة الثقافية للطبقة الشعبية. و لهذا استعمل في مقدمة الكتاب و النصوص أسلوبا مرنا أقرب من العامية المهذبة منه إلى العربية المدرسية.

و على كل، فإن هذه المجموعة الشعرية الثمينة عبارة عن نصب تذكاري أقيم من طرف خبير، تمجيدا للإبداعات الأدبية الأصيلة لعبقريتنا الوطنية. فهي مرآة للروح و الإحساس الجزائري و أدب يجد فيه القارئ متعة و طرب. كما يتسنى لكل باحث في العلوم الإنسانية أن يتخذ هذا الديوان وثيقة للدراسة لأنه مشحون بمعطيات متنوعة، أدبية، لسانية، تاريخية، أنثروبولوجية إلى غيرها من الميادين المتعلقة بحقبة تاريخية هامّة و فئات من الشعب الجزائري قلما سجّل أصواتهم التاريخ الرسمي و الأدب المشهور.

التلي بن الشيخ (1928-2001)

ولد التلي بن الشيخ ببلدية الحجيرة ولاية ورقلة سنة 1928 من أسرة ذات شأن في العلم والفقه، فوالده الحاج أحمد كان شيخا معروفاً بالفقه ويستفتيه الناس في أمور دينهم، كما كان إماماً وخطيباً بالجامع، وانتخب أول رئيس بلدية بعد الاستقلال.

درس التلي القرآن الكريم على يد والده، وانتقل إلى القرارة ليتعلّم مبادئ اللغة العربية والأدب عن شيوخها، وهم من شيوخ الحركة الإصلاحية في الجزائر. وبعدها انتقل إلى مدينة القيروان التونسية، وأخيرا سافر إلى بغداد قبلة العلماء، وتحصّل فيها على أوّل شهادة جامعية في التربية وعلم النفس وذلك سنة 1966م.

ساهم في النضال إلى جانب الثورة حين كان طالباً في تونس إلى جانب الحركة الطلابية الجزائرية، فعمل فدائياً على الحدود التونسية الجزائرية إلى غاية سفره إلى العراق سنة 1961م.

عاد إلى الجزائر واشتغل في وزارة الأوقاف والشؤون الدينية وأسس جريدة القبس، وأخيراً دخل الجامعة للتدريس، وسجل الدكتوراه في موضوع الأدب الشعبي بإشراف الدكتور عبد الله الركيبي بعنوان دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة 1830م-1945م.

ظل بالجامعة الجزائرية يدرس ويصدر أبحاثه عن الأدب الشعبي الجزائري، وكان معروفاً لدى الطلبة بتمسّكه بالأصالة وتواضعه واعتداله إلى أن تقاعد عن العمل في الجامعة. توفي سنة 2001م، وكان لا يزال يدلي بدلوه في الأبحاث لا سيما في الأدب الشعبي.

أعماله:

صدر للأديب والباحث التلي بن الشيخ عدد من الكتب والمقالات في المجلات الثقافية والفكرية المختلفة، كمجلة الثقافة ومجلة آمال وبعض المجلات العلمية من خارج الوطن، لكن أهم أعماله تتمحور حول الأدب الشعبي، منها العمل الذي نال به درجة الدكتوراه عن دور الأدب الشعبي في النضال الوطني. نشر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1983م.

تناول في هذا العمل مواكبة الشعر الشعبي خاصة للأحداث الوطنية الكبرى، ولا سيما الانتفاضات التي خاضها الشعب في مختلف جهات الوطن، ثم مساندة الحركات الوطنية وجمعية العلماء، وكانت دراسته تركز على الجانب الوطني ولا تتعرض إلى الجوانب الفنية للشعر إلا قليلاً. يقول التلي بن الشيخ: «وما حملنا على إبراز الروح الوطنية هو أنّ أغلب الشعراء عاشوا فترات قاسية من فترات كفاح الشعب الجزائري، بل عاش بعضهم مأساة الغزو الفرنسي وما عاناه الشعب من ويلات وجراح ونكبات، وهو ما يفرض علينا أن نسجل للشاعر الشعبي مواقفه في تلك الظروف العصيبة، وأن نشيد بجهاده ونضاله من أجل الدفاع عن الكرامة والذّود عن الشرف، وإعلاء كلمة الله، وحرمة الوطن، مثلما نسجل تخاذله وصمته إذا ما فضّل التخاذل والصمت ولاذ بالفرار عند الشدائد والملمات».

والتلي بن الشيخ ليس ممن يشيدون بالأدب الشعبي إشادة مطلقة محاولين أن يبوئوه منزلة أكثر من منزلته الحقيقية باعتباره نتاج الطبقات البسيطة في مجتمع تسوده الأمية. يقول إنّ الهدف من محاولة دراسة الأدب الشعبي...حتى نمكنه (القارئ) أن يحكم على الشعر الشعبي حكماً صحيحاً، أو قريباً من الصحة، فلا يبالغ في الإطراء والتمجيد وتحميل الشاعر الشعبي ما ليس في استطاعته، وحتى لا يرف في التقليل من أهمية الإبداعات الشعبية إلى درجة الاحتقار.

وفي كتابه دراسات في الأدب الشعبي تناول بالدراسة عدداً من شعراء الملحون المشهورين، مثل سيدي لخضر بن خلوف، والمنداسي، ومصطفى بن إبراهيم، والشيخ بن يوسف الخالدي، والملاحظ في هذا الكتاب اتساع العنوان.. الأدب الشعبي وقصور المحتوى عن الشعر دون الأشكال الأدبية الأخرى.

ويمكن أن نلمس موضوعية التلي بن الشيخ في دراسته عن الشاعر مصطفى بن إبراهيم، فرغم أنه فقيه وقاضي وينحدر من أسرة دينية تنتسب إلى الولي الصالح، إلا أنه لم تكن مواقفه من الاحتلال مواقف إيجابية، كما كان غزله بعدة نساء ينم عن تهتكه الأخلاقي ، يقول ومهما يكن فمصطفى بن إبراهيم ضعيف الحس الوطني إلى درجة لا تؤثر فيه الأوضاع المأساوية التي عاشها وطنه. لكنه لم يغمطه حقه من الناحية الفنية، فشعره رقيق المشاعر، رائع الأسلوب، متين العبارة، جيد المعنى.

أما كتابه الثالث والذي لا يقل أهمية عن الكتابين الأولين، فهو منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الذي صدر عن المؤسسة الوطنية للكتاب 1990م، وكانت تدور في ذهنه فكرة مناهج التفكير، لكنه تراجع عنها مفضلاً منطلقات التفكير، بسبب أن المناهج تشير إلى اختيار واع، فالأديب الشعبي ينزع إلى التقليد المتوارث للأشكال والمضامين، ولا يختار بدقة عن وعي ولأهداف مرسومة كما يفعل الشاعر النخبوي، ففي رؤية الأديب الشعبي مثلاً تغلب العفوية والبساطة البريئة في تصوير قضايا الإنسان المعقدة.

وهكذا يصل الباحث إلى أن سمات عامة تميز الشعر عن الحكاية وعن المثل الشعبي، فلكل شكل من أشكال الأدب الشعبي منطلقاته.

يتميز الشعر الشعبي بالروح الوطنية والدفاع عن الحرية والكرامة، فقد تابع الثورات المتعاقبة، وسجل انتصاراتها في حماس كبير، كما سجل هزائمها في حسرة وحزن، وحارب الظلم والطغيان في كل أشكاله وصوره، وكان مدفوعاً بروح دينية إسلامية، فرأى الغزو الاستعماري غزواً للإسلام، لا يختلف في أهدافه عن الحروب الصليبية التي تعرّض لها الإسلام في المشرق والمغرب، بحيث يمكن القول بأن منطلقات الشاعر الشعبي الجزائري منطلقات واقعية نابعة من آلام وجراح الشعب الجزائري، ليس فيها من الخيال والتصوير إلا ما يدعم الواقع الاجتماعي ويعطي الصورة الشعرية بعدها ووقعها في نفس القارئ.

أما الحكاية فنهجها مغاير لنهج الشعر، فعالم القص مجهول يجري فيه صراع بين الخير والشر، أو بين الحق والباطل، ولكنه صراع لا يرتبط بواقع معروف ولا عصر محدد إلا من حيث السرد الممتع.

وإذ تعتمد القصة عن العجائبية والخوارق وعلم متخيل لا يصله بالواقع إلا تلميحات سريعة، فإنها تحاول أن تعبّر عن أحاسيس ومشاعر الطبقات الشعبية المعذبة بالطريقة التي اختارها القصّاص الشعبي.

ويمكن القول إن منطلقات الحكاية الشعبية منطلقات نفسية أكثر منها واقعية، أو هي منطلقات خيالية، أو بعبارة أخرى إنسانية عامة تتجاوز إطار القومية والإقليمية معاً.

أما المثل الشعبي فينطلق من رؤية واقع اجتماعي يختلف عن القصة، وينهج أسلوب الوعظ والتوجيه، ويركّز على السلوك الإنساني عندما يواجه موقفاً ما، ومن هنا جاء تنوع التعبير في المثل الشعبي في التعبير، بحيث تبدو بعض الأمثال الشعبية متعارضة أو يناقض بعضها بعضاً، والسبب في ذلك أن المواقف التي يعبّر عنها المثل تختلف؛ فحين يمر بموقف تبدو فيه أهمية علاقة القرابة في تمتين الأواصر يقول: «خوك خوك لا يغرك صاحبك»، وحين يمر بموقف آخر تكون فيه القرابة سبباً للنزاع يقول: «خوك من واتاك لا خوك من امك وباباك»، لذا فهو يعبّر عن الحالات بغض النضر عن النتائج التي يفهمها السامع من ضرب المثال.

والكتاب الأخير ثري بالنصوص والتحليلات الجادّة، يطرحها الباحث بتوازن ومن دون اعتداد بالنفس وفي تواضع العلماء، فيرى أن هذا الجهد قابل للمناقشة والإثراء ويقبل الآراء المختلفة.